

## بسم الله الرحمن الرحيم

### وبه الإعانة

#### [ مقدمة المؤلف ]

الحمد لله الذي جعل جنات الفردوس لعباده المؤمنين نُزُلًا ، وبَشْرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها ، فلم يتخذوا سواها شُغْلًا ، وسَهْل لهم طُرُقها ، فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذُلًّا ، خلقها لهم قبل أن يخلقهم ، وأسكنهم إياها قبل أن يُوجدهم ، وحجبها بالمكاره ، وأخرجهم إلى دار الامتحان ، ليبلوهم أيهم أحسنُ عملًا ، وجعل ميعاد دخولها يومَ القدوم عليه ، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً ، وأودعها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وجلاها لهم حتى (١) عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذُ من عين (٢) البصر ، وبَشْرهم بما أعدَّ لهم فيها على لسان رسوله ، فهي خيرُ البَشْرِ (٣) ، على لسان خير البشر ، وكَمَّل لهم البشرى بكونهم ﴿ خالدين فيها لا يبدلون عنها جِوَالًا ﴾ [ الكهف : ١٠٨ : (٤) ] .

والحمد لله فاطر السماوات والأرض ، جاعل الملائكة رُسُلًا ، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل ، إذ لم يخلقهم عبثًا ، ولم يتركهم سُدى ، ولم يغفلهم هملاً ، بل خلقهم لأمرٍ

(١) في الأصل : ( عليهم حين ) وما أثبتناه أولى .

(٢) في هامش الأصل : رؤية .

(٣) البَشْرُ : جمع بُشْرَى . وهي البَشْرة . والبشارة : ما يُبَشِّرُ به ، وما يعطاه المَبَشِّرُ بأمر مفرح .

وبشر فلانًا : أخبره بما يَسْرُهُ .

(٤) الجِوَالُ : التحول والانتقال .

عظيم ، وهياهم لخطبِ جسيم ، وعمّر لهم دارين ، فهذه لمن أجاب  
الداعي ، ولم يبعِ سوى ربه الكريم بدلاً ، وهذه لمن لم يُجب دعوته ، ولم  
يرفع بها رأساً ، ولم يعلق بها أملاً .

والحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن  
الكثير من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضمّن  
الكتاب الذي كتبه ، أن رحمته سبقت غضبه ، دعا عباده إلى دار السلام ،  
فعمّم بالدعوة حُجّةً منه عليهم وعدلاً ، وخصّ بالهداية والتوفيق من شاء نعمةً  
منه وفضلاً . فهذا عدلُه وحكمته ، وهو العزيزُ الحكيمُ ، ذلك فضله يُؤتیه من  
يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبده وابن عبده وابن  
أمتِه ، ومن لا غنى له طرفة عينٍ عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له بالفوز بالجنة  
والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه ،  
أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ومحجة<sup>(١)</sup> للسالكين ، وحُجّةً على  
العبادِ أجمعين ، بعثه للإيمان منادياً ، وإلى دار السلام داعياً ، وللخليقة هادياً ،  
ولكتابه تالياً ، ولمرضاته ساعياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، أرسله  
على حين فترةٍ من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل ،  
وافترض على العباد طاعته ومحبة ، وتعزيزه ، وتوقيره<sup>(٢)</sup> والقيام بحقوقه ، وسدّ  
إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحدٍ إلا من طريقه ، فلو أتوا من كل  
طريق ، واستفتحوا من كل باب لما فُتِحَ لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ،  
وعلى منهاجه وطريقته من السالكين .

فسبحان من شرح له صدره ، ووضع عنه وزره<sup>(٣)</sup> ، ورفع له ذكره ،

(١) المحجة : الطريق المستقيم .

(٢) التوقير : التعظيم .

(٣) الوزرُ : الحمل الثقيل ، والإثم والذنب .

وجعل الذل والصغار علي من خالف أمره ، فدعا إلى الله وإلى جنته سراً وجهاراً ، وأذن بذلك بين أظهر الأمة ليلاً ونهاراً ، إلى أن طلع فجر الإسلام ، وأشرقت شمس الإيمان ، وعلت كلمة الرحمن ، وبطلت دعوة الشيطان ، وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألقت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها ، فأشرق وجه الدهر حسناً ، وأصبح الظلام ضياءً ، واهتدى كل حيران ، فلما أكمل الله به دينه ، وأتم به نعمته ، ونشر به على الخلائق رحمته ، فبلغ رسالات ربه ونصح عباده ، وجاهد في الله حق جهاده ، خيره بين المقام في الدنيا وبين لقاءه والقدوم عليه ، فاختر لقاء ربه محبة له ، وشوقاً إليه ، فاستأثر به<sup>(١)</sup> ونقله إلى الرفيق الأعلى ، والمحل الأرفع الأسنى ، وقد ترك أمته على الواضحة الغراء ، والمحجة البيضاء ، فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم ، وعدل الراغبون عن هديه إلى طريق الجحيم : ﴿ لِيَهْلِكَ مِنْ هَلَكَ عَن بَيْتِهِ وَيَخْشَى مِنْ حَيٍّ عَن بَيْتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [ الأنفال : ٤٢ ] .

فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه ، كما وحد الله وعبده ، وعرفنا به ودعا إليه .

أما بعد . فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ، ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لأمر عظيم ، وخطب جسيم ، عرض على السماوات والأرض والجبال فأبين وأشفق<sup>(٢)</sup> منه إشفاقاً ووجلاً ، وقلن ربنا إن أمرتنا ، فسمعاً وطاعةً ، وإن خيرتنا ، فعافيتك نريد ، لا تبغي بها بدلاً ، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمليه ، وباء به<sup>(٣)</sup> على ظلمه وجهله ، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته<sup>(٤)</sup> عليهم وثقله ، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة<sup>(٥)</sup> لا ينظرون في معرفة موجدهم وحقه عليهم ، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبور إلى دار القرار ، فلا يتفكرون

(١) استأثر به : اختاره لنفسه .

(٢) أشفقن : خفن .

(٣) باء به : رجع ، وباء بذنبه : احتمله واعترف به ، وثقل عليه .

(٤) لشدة مؤنته : لشدة كلفته عليهم .

(٥) الأنعام السائمة : الإبل ترسل للمرعى .

في قلة مقامهم في الدنيا الفانية، وسُرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعثُ الحسِّ (١)، وغابَ عنهم داعي العقل، وشملتْهم الغفلة، وغرتهم الأمانى (٢) الباطلة، والجدعُ الكاذبة، فخدعهم طولُ الأمل، ورانَ على قلوبهم (٣) سوءُ العملِ فهمهم في لذاتِ الدنيا، وشهواتِ النفوسِ، كيف حصَلتْ حصلوها، ومن أي وجهٍ لاحت (٤) لهم أخذوها، إذا أبدى لهم حظٌّ من الدنيا ناجذية (٥) طاروا إليه زرافاتٍ (٦) ووحداناً، وإذا عرضَ لهم عرضٌ عاجلٌ من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوباً من الله ولا رضواناً: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم : ٧] ، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر : ١٩] .

والعجبُ كلُّ العجبِ من غفلة مَنْ لحظاته معدودةٌ عليه، وكلُّ نفسٍ من أنفاسه لا قيمةَ له، وإذا ذهبَ لم يرجعِ إليه، فمطايبا الليلِ والنهار تُسرِعُ به، ولا يتفكّرُ إلى أين يُحمَل، ويُسارُ به أعظمَ من سيرِ البريدِ، ولا يدري إلى أي الدارين يُنقل، فإذا نزلَ به الموتُ اشتدَّ قلقه لخرابِ ذاته، وذهابِ لذاته، لا لما سبقَ من جنائياته، وسلفَ من تفریطه، حيثُ يُقدّمُ لحياته. فإنْ خطرتْ له خطرةٌ عارضةٌ لما خلقَ له، دَفَعَهَا باعتمادهِ على العفو، وقال: قد أنبئنا أنه هو الغفورُ الرحيمُ، وكأنه لم يُنبأ أنْ عذابه هو العذابُ الأليمُ.

## فصل

ولما عَلِمَ الموفقون ما خلقوا له، وما أريدُ بإيجادهم رفعوا رؤوسهم،

(١) في الأصل: الجن وهو خطأ.

(٢) غرتهم الأمانى : خدعتهم تمنياتهم الباطلة .

(٣) ران على قلوبهم : غشيها وغطى عليها .

(٤) لاحت : ظهرت .

(٥) ناجذية : النواجذ : أقصى الأضرار .

(٦) الزرافات : جمع زرافة ، وهي الجماعة من الناس .

فإذا عَلِمَ الْجَنَّةِ قَدْ رُفِعَ لَهُمْ ، فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وَضَحَ لهم ، فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظمِ الغَيبِ<sup>(١)</sup> بيعُ ما لا عينٌ رأت ، ولا أُذُنٌ سمعت ، ولا خطر على قلبِ بشر ، في أبدٍ لا يزولُ ، ولا ينفدُ بصِبابَةٍ<sup>(٢)</sup> عيش ، إنما هو كأضغاثِ أحلام<sup>(٣)</sup> ، أو كطيفِ<sup>(٤)</sup> زارٍ في المنام ، مشوبٌ بالنَّغصِ<sup>(٥)</sup> ، ممزوجٌ بالغُصصِ<sup>(٦)</sup> ، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً ، وإن سرَّ يوماً أُحزنَ شهوراً ، الأُمُّ تزيدُ على لذاته ، وأحزانه أضعافُ أضعافِ مسراته ، أوله مَخَوفٌ ، وآخره مَتَأَلَفٌ ، فيا عجباً من سفيه في صورةٍ حلِيمٍ ، ومعتوه في مِسْلاخٍ<sup>(٧)</sup> عاقلٍ ، آثَرَ<sup>(٨)</sup> الحظَّ الفسائي الخسيسِ ، على الحظِّ الباقي النفسِ ، وباعَ جنةَ عرضها السماوات والأرضِ ، بسجنِ ضيقٍ بين أربابِ العاهاتِ ، والبلياتِ ، ومساكنِ طيبةٍ في جناتِ عدنٍ تجري من تحتها الأنهارُ ، بأعطانٍ<sup>(٩)</sup> ضيقةٍ آخرها الخرابُ والبوارُ<sup>(١٠)</sup> ، وأبكاراً عرباً أتراباً<sup>(١١)</sup> كأنهنَّ الياقوتُ والمرجانُ ، بقذراتِ دنساتِ سيئاتِ الأخلاقِ مسافحاتِ ، أو متخذاتِ أخذانٍ<sup>(١٢)</sup> ، وهوراً مقصوراتٍ في الخيامِ<sup>(١٣)</sup> بخبيثاتِ سيئاتٍ بين

(١) الغيب : النقص والخسارة .

(٢) الصِّبابة : ما بقي في الإناء من ماء ونحوه .

(٣) أضغاث أحلام : ما كان ملتبساً مختلطاً لا يصح تأويله ، لاختلاطه والتباسه . وأصل الضغث :

القبضة من الحشيش المختلط رطبها بيباسها . والأحلام : جمع حُلْم ، وهو ما يراه النائم .

(٤) الطيف : الخيال الطائف في النوم .

(٥) مشوب بالنغص : مخلوط بكدر العيش .

(٦) الغُصص : جمع غُصَّة : وهو ما اعترض في الحق من طعام أو شراب .

(٧) المِسْلاخ : الجِلْد .

(٨) في الأصل ( آثر ) على الاستفهام ، وما أثبتناه أولى .

(٩) العَطَن : مبرك الإبل حول الحوض . وجمعه أعطان .

(١٠) البُوار : الهلاك ، والكساد .

(١١) عُرْباً أتراباً : العُربُ : جمع عُرُوب . وهي المرأة المتحبة إلى زوجها والمطبعة له ، والأتراب :

جمع تَرْب . وهو المماثل في السن ذكراً كان أو أنثى .

(١٢) مسافحات أو متخذات أخذان : زانيات ، والسَّفاح ، والمُسافحة : معاشره المرأة بلا زواج .

والأخذان : جمع خِذَن ، وهو الصديق الذي يكون معك ظاهراً وباطناً .

(١٣) حور مقصورات في الخيام : الحور : جمع حوراء ، وهي المرأة إذا اشتدَّ بياض بياض عينيها ،

مع شدة سواد سوادها ، وهذا من جمال العين ، وانظر ص ٢٨٤ تفصيل المؤلف هناك . =

الأنام<sup>(١)</sup>، وأنهاراً من خمرٍ لذةٍ للشاربين، بشرابٍ نجسٍ مُذهبٍ للعقلِ مُفسدٍ للدنيا والدين، ولذةٍ النظرِ إلى وجهِ العزيزِ الرحيمِ، بالتَمَتُّعِ برؤيةِ الوجهِ القبيحِ الدميمِ، وسماعِ الخطابِ من الرحمن، بسماعِ المعازفِ والغناءِ والألحانِ، والجلوسِ على منابرِ اللؤلؤِ والياقوتِ والزبرجدِ يومَ المَزيدِ، بالجلوسِ في مجالسِ الفسوقِ مع كلِّ شيطانٍ مَريدٍ، ونداءِ المناديِ يا أهلِ الجنةِ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا، وَتَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا، وَتُقِيمُوا فَلَا تَظْلَعُوا، وَتَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا بِغِنَاءِ الْمَغْنِينِ:

وَقَفَ الْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَسَاخِرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لِذِيذَةِ حَبَأَ لَذَكْرِكَ، فَلْيَلْمَنِي اللَّوْمُ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ الْعَبْنُ الْفَاحِشُ فِي هَذَا الْبَيْعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُنَّ سَفَهَهُ<sup>(٢)</sup> بِاتِّعِهِ يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ، إِذَا حُشِرَ الْمُنْقَوُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَأَهُ<sup>(٣)</sup>، وَسِيقَ الْمَجْرَمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدَأَهُ<sup>(٤)</sup>، وَنَادَى الْمُنَادِي عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، لِيَعْلَمَنَّ أَهْلُ الْمَوْقِفِ مِنْ أَوْلَىٰ بِالْكَرَمِ مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ، فَلَوْ تَوَهَّمِ الْمُتَخَلِّفُ عَنْ هَذِهِ الرَّفِيقَةِ مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْإِكْرَامِ، وَأُدْخِرَ لَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، وَمَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ لَمْ يَقَعْ عَلَى مِثْلِهَا بَصَرٌ، وَلَا سَمِعَتْهُ أُذُنٌ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، لَعَلَّمَ أَيُّ بَضَاعَةٍ أَضَاعَ، وَأَنَّهُ لَا خَيْرَ لَهُ فِي حَيَاتِهِ، وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ، وَعَلِمَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ تَوَسَّطُوا مَلَكاً كَبِيراً لَا تَعْتَرِيهِ الْأَفَاتُ، وَلَا يَلْحَقُهُ الزَّوَالُ، وَفَازُوا بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي جَوَارِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ.

فهم في روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرتها تحت الجبال<sup>(٥)</sup>

= ومقصورات في الخيام: جمع مقصورة، وهي المرأة المنعمة في بيت لا تتركه. والخيام: جمع خيمة.

(١) الأنام: الإنس والجن، وما ظهر على الأرض من جميع الخلق.

(٢) السفه: الجهل والطيش، وسوء التصرف.

(٣) الوفد: الجماعة يفدون على ذي الشأن، وقيل هنا: جاؤوا ركبانياً.

(٤) الورد: الماء يورد، والورد: الإبل ترد الماء. ويقال للقوم يردون الماء: ورد. والمراد أنهم

يقصدون جهنم للارتواء. وشس الورد المورود.

(٥) الجبال: جمع حجلة، وهي ناموسية تستر السرير كالقبة تتخذ للمروس، وخشية البعوض =

يجلسون، وعلى الفُرش - التي بطائنها<sup>(١)</sup> من إستبرق<sup>(٢)</sup> - يتكثون، وبالحوَرِ العين<sup>(٣)</sup> يتمتعون ، وبأنواع الثمارِ يتفكهون ، ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكوابٍ وأباريقٍ وكأسٍ من معينٍ<sup>(٤)</sup> ، لا يصدعون<sup>(٥)</sup> عنها ولا ينزفون<sup>(٦)</sup> ، وفاكهةٍ مما يتخيرون ، ولحم طيرٍ مما يشتهون ، وحوَرُ عَيْنٍ كأمثالِ اللؤلؤِ المكنون<sup>(٧)</sup> ، جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [ الواقعة : ١٧ - ٢٤ ] ، ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ<sup>(٨)</sup> من ذهبٍ ، وأكوابٍ وفيها ما تشتهيهِ الأنفُسُ وتلذُّ الأعين ، وأنتم فيها خالدون ﴾ [ الزخرف : ٧١ ] . تالله ، لقد نُوديَ عليها في سَوقِ الكَسَادِ<sup>(٩)</sup> فما قَلَبَ ولا استام<sup>(١٠)</sup> إلا أفرادٌ من العبادِ ، فواعجبا لها كيف نامَ طالِبُها ؟ وكيف لم يَسمحَ بمهرِها خاطِبُها ؟ وكيف طابَ العيشُ في هذه الدارِ بعد سَماعِ أخبارِها ؟ وكيف قرَّ للمُشتاقِ القَرارَ ، دون مُعانقَةِ أبكارِها ؟ وكيف قرَّتْ دونها أعينُ المُشتاقين ؟ وكيف صَبَرَتْ عنها أنفُسُ الموقنين ؟ وكيف صَدَفَتْ<sup>(١١)</sup> عنها قلوبُ أكثرِ العالمين ؟ وبأي شيءٍ تَعَوَّضَتْ عنها نفوسُ المُعْرِضينَ ؟

= والناموس ، وانظر ص ٢٧٩ الكلام عليها .

- (١) البطائن : جمع بطانة ، وهي من الثوب ما يبطن به ، وهي خلاف ظَهَارَتِهِ .
- (٢) الإستبرق : الديباج الغليظ ، وثياب من حرير وذهب . والديباج : الحرير .
- (٣) العين : جمع عينا ، وهي المرأة حسنة العين وواسعتها .
- (٤) الماء المعين : هو الظاهر الذي تراه العين جازياً على وجه الأرض .
- (٥) لا يصدعون : لا يصيبهم الصُّدَاعُ . والصُّدَاعُ : وجع الرأس .
- (٦) ولا ينزفون : لا يذهب عقلهم من السكر . يقال : نَزَفَ شارب الخمر : سكر فذهب عقله وتمييزه . ونَزَفَ الشيء نَزْفاً : نَفَذَ وفني .
- (٧) المكنون : المصون .
- (٨) الصِّحَافُ : جمع صَحْفَةٍ ، وهو وعاء الأكل الكبير .
- (٩) سوق الكساد : التي لم تحظ بالرواج ، ولم يَنفَقَ ما فيها لقلّة الرغبة فيه .
- (١٠) السوم : عرض السلعة على البيع . ومعنى الكلام أن سوق الجنة في الدنيا كاسدة . لا يسأل عنها ، كثير من الناس . يقال : استام المشتري السلعة : أراد شراءها ومعرفة ثمنها ، واستام البائع غالى وطلب سعراً عالياً . وفي الأصل ( أسام ) وما أثبتناه أولى .
- (١١) صدف : أعرض .

## شعرٌ في وَصْفِ الجَنَّةِ

سوى كفتها، والرُّبُّ بالخلقِ أَعْلَمُ  
وَحَفَّتْ بما يُؤْذِي النُّفُوسَ، وَيُؤْلَمُ  
وأصنافِ لذاتِ بها يُتَنَعَمُ  
وروضاتها، والثغرُ في الروضِ يَبْسُمُ  
يَدِ لِيُوفِدَ الحُبَّ، لو كُنْتُ مِنْهُمْ  
مُحِبٌّ يَرى أن الصَّبَابَةَ مَغْنَمُ  
يُخَاطِبُهُمْ من فوقهم، ويسلِّمُ  
فلا الضيْمُ يَغْشَاهَا، ولا هي تَسَامُ  
أَمِنْ بَعْدِهَا يَسْلُو المَحِبُّ المَتِّيمُ<sup>(٢)</sup>  
أضَاءَ لَهَا نورٌ من الفجرِ أَعْظَمُ  
وبالذَّةِ الأَسْمَاعِ حين تَكَلَّمُ  
وبأ حَجَلَةَ الفجرين<sup>(٤)</sup> حين تَبَسَّمُ  
فلم يَتَّقِ إلا وَصَلُهَا لَكَ مَرَهْمُ  
وقد صَارَ منها تحت جِيدِكَ مَعْصَمُ<sup>(٦)</sup>  
يَلْدُّ به قبل الوصالِ، وَيَتَنَعَمُ  
فواكِهِ شتى، طلعها ليس يُعْدَمُ<sup>(٧)</sup>  
ورمانُ أغصانٍ به القلبُ مَغْرَمُ

وما ذاكَ إلا غيرة<sup>(١)</sup> أن يَنَالَهَا  
وإن حُجِبَتْ عَنَا بَكْلَ كَرِيهَةٍ  
فَللهِ مَا فِي حَشْوِهَا من مَسْرَةٍ  
وللهِ بَرْدُ العَيْشِ بَيْنَ حَيَامِهَا  
وللهِ وادِيهَا الَّذِي هُوَ موعِدُ المَزِ  
بذِيالكِ الوادِي يَهيمُ صَبَابَةٌ  
وللهِ أَفْرَاحُ المُحِبِّينَ عِنْدَمَا  
وللهِ أَبْصَارُ تَرى اللهُ جَهْرَةً  
فِيانظِرَةً أَهَدَتْ إلى الوَجْهِ نَضْرَةً  
وللهِ كَم من خَيْرَةٍ إن تَبَسَّمْتَ  
فِيالذَّةِ الأَبْصَارِ إن هي أَقْبَلَتْ  
وبأ حَجَلَةَ الغصنِ<sup>(٣)</sup> الرطيبِ إذا انثت  
فإن كنتَ ذا قلبِ عليلِ<sup>(٥)</sup> بحبها  
ولاسيما في لثمتها عند ضمتها  
تراه إذا أبدت له حُسْنَ وجْهِها  
تَفَكَّهُ فِيها العَيْنُ عند اجتلائها  
عناقيدُ من كرمٍ، وتَفَاحُ جَنَةِ

(١) في الأصل : عبرة .

(٢) المتيم : المحب الذي أذهب عقله الحب . يقال : تيمه الحب : إذا أذهب عقله واستعبده ، فهو متيم .

(٣) في الأصل ( الغصن ) وما أثبتناه أولى .

(٤) في الأصل ( البحرين ) ( والفجرين ) أقرب .

(٥) في الأصل ( عليك ) وما أثبتناه أولى . والعليل : المريض .

(٦) لثم : قبل ، والجيد : العنق . والمعصم : موضع السوار من الساعد .

(٧) تفكه : تمتع وتلذذ . اجتلائها : النظر إليها . طلعها : ثمرها .

وَاللَّوْرِدِ مَا قَدْ أَلْبَسْتَهُ خَدُودَهَا  
تَقَسَّمُ فِيهَا الْحُسْنُ فِي جَمْعٍ وَاحِدٍ  
لَهَا فِرْقٌ شَتَى مِنَ الْحُسْنِ أَجْمَعَتْ  
تَذَكُرُ الرَّحْمَنَ مَنْ هُوَ نَاطِرٌ  
إِذَا قَابَلَتْ جَيْشَ الْهَمُومِ بِوَجْهِهَا  
وَلَمَّا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بِغُصْنِهَا  
فِيَا خَاطِبَ الْحَسَنَاءِ إِنْ كُنْتُ رَاغِبًا  
وَكَنْ مُبْغِضًا لِلخَائِنَاتِ بِجَبْهَا  
وَكَنْ أَيْمًا مَمَّنْ سِوَاهَا فَإِنَّهَا  
وَصُمْ يَوْمَكَ الْأَدْنَى لَعَلَّكَ فِي غَدٍ  
وَأَقْدَمُ وَلَا تَقْنَعُ بِعَيْشٍ مُنْعَصٍ  
وَإِنْ ضَاقَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِأَسْرَهَا  
فَحَيِّ عَلَى جَنَاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا  
وَلَكِنَّا سَبِيُّ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى  
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْغَرِيبَ إِذَا نَأَى  
وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي  
وَحَيِّ عَلَى السُّوقِ الَّذِي فِيهِ يَلْتَقِي الْمُحَدِّ  
فَمَا شَتَّتَ خُذْ مِنْهُ بِلَا ثَمَنِ لَهُ  
وَحَيِّ عَلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ الَّذِي بِهِ  
وَحَيِّ عَلَى وَاذِ هِنَالِكَ أَفِيحٍ  
مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ هُنَاكَ وَفَضِيَّةٍ  
وَكَثْبَانُ مَسِكٍ قَدْ جُعِلْنَ مَقَاعِدًا  
فِيِنَا هُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ

وَاللَّخْمِ مَا قَدْ ضَمَّهُ الرِّيقُ ، وَالْفَمُ  
فِيَا عَجِبًا مِنْ وَاحِدٍ يَتَقَسَّمُ  
بِجَمَلَتِهَا ، إِنَّ السُّلُوَ مُحَرَّمٌ  
فَيَنْطِقُ بِالتَّسْبِيحِ لَا يَتَلَعَّمُ  
تَوَلَّى عَلَى أَعْقَابِهِ الْجَيْشُ يَهْزَمُ  
تَيَقَّنَ حَقًّا أَنَّهُ لَيْسَ يَهْرَمُ  
فَهَذَا زَمَانُ الْمَهْرِ فَهُوَ الْمُقَدَّمُ  
فَتَحَظَى بِهَا مِنْ دُونِهِنَّ وَتَنَعَمُ  
لَمِثْلِكَ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ تَأَيَّمُ (١)  
تَفُورُ بِعِيدِ الْفَطْرِ ، وَالنَّاسُ صَوْمٌ  
فَمَا فَازَ بِاللَّدَاتِ مِنْ لَيْسَ يُقَدِّمُ  
وَلَمْ يَكُ فِيهَا مَنَزَلٌ لَكَ يُعَلَّمُ  
مَنَازِلَكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ  
نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنَسَلَمُ  
وَشَطَّطَتْ بِهِ أَوْطَانُهُ فَهُوَ مُغْرَمٌ  
لَهَا أَضْحَتْ الْأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكَّمُ  
بِوَنَ ذَاكَ السُّوقِ لِلْقَوْمِ مُعَلَّمُ  
فَقَدْ أَسْلَفَ التُّجَارُ فِيهِ وَأَسْلَمُوا  
زِيَارَةَ رَبِّ الْعَرْشِ ، فَالْيَوْمَ مَوْسَمُ  
وَتَرَبَّتَهُ مِنْ أَدْفَرِ الْمَسِكِ أَعْظَمُ (٢)  
وَمِنْ خَالِصِ الْعَقِيَانِ لَا يَتَقَصَّمُ (٣)  
لِمَنْ دُونَ أَصْحَابِ الْمَنَابِرِ تُعَلَّمُ (٤)  
وَأَرَزَاقُهُمْ تَجْرِي عَلَيْهِمْ وَتُقَسَّمُ

(١) الأيِّم : من لا زوج له من الرجال والنساء .

(٢) أفيح : واسع . والأدفر : الجيد . يقال مسك أدفر ، ودفر : أي جيد .

(٣) العقيان : الذهب الخالص ، يتقضم : يتكسر .

(٤) كَثْبَان : جمع كَثِيب . وهو التل من الرمل .

إِذَا هُمْ بِنُورٍ سَاطِعٍ أَشْرَقَتْ لَهُ  
 تَجَلَّى لَهُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ جَهْرَةً  
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَسْمَعُونَ جَمِيعَهُمْ  
 يَقُولُ سَلُونِي مَا أَسْتَهْتِمُ فَكُلُّ مَا  
 فَقَالُوا جَمِيعاً : نَحْنُ نَسْأَلُكَ الرِّضَا  
 فَيُعْطِيهِمْ هَذَا ، وَيَشْهَدُ جَمْعَهُمْ  
 فِيَا بَائِعاً هَذَا بِيَخْسُ مُعْجَلٍ  
 فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مَصِيئَةٌ

بِأَقْطَارِهَا الْجَنَاتُ لَا يُتَوَمَّهُمْ  
 فَيُضْحِكُ رَبُّ الْعَرْشِ ثُمَّ يُكَلِّمُ  
 بِأَذَانِهِمْ تَسْلِيمَةً إِذْ يُسَلِّمُ  
 تُرِيدُونَ عِنْدِي ، أَنَّنِي أَنَا أَرْحَمُ  
 فَأَنْتَ ، الَّذِي تُولِي الْجَمِيلَ وَتَرْحَمُ  
 عَلَيْهِ ، تَعَالَى اللَّهُ ، فَاللَّهُ أَكْرَمُ  
 كَأَنَّكَ لَا تَدْرِي ، بَلَى سَوْفَ تَعْلَمُ  
 وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمَصِيئَةُ أَعْظَمُ

## فصل

وهذا كتابٌ اجتهدتُ في جمعه ، وترتيبه ، وتفصيله ، وتبويبه ، فهو  
 للمَحْزُونِ سَلْوَةٌ وللمُشْتَقِ إِلَى تِلْكَ الْعَرَائِشِ جَلْوَةٌ ، محرِّكٌ للقلوب ، إلى أَجَلٍ  
 مَطْلُوبٍ ، وحَادٍ لِلنَّفُوسِ إِلَى مُجَاوِرَةِ الْمَلِكِ الْقُدُوسِ (١) ، ممتع لقارئه ، مشوق  
 للناظر فيه ، لا يَسْأَمُهُ الْجَلِيسُ ، وَلَا يَمَلُّهُ الْأَنْبِيَاءُ ، مُسْتَمِلٌ مِنْ بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ ،  
 وفرائد القلائد (٢) ، على ما لعلَّ المجتهدَ في الطلَبِ ، لَا يَظْفَرُ بِهِ فِيَمَا سِوَاهُ مِنْ  
 الْكُتُبِ ، مع تَضَمُّينِهِ لَجَمَلَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَاتِ ، وَالْآثَارِ (٣)  
 الْمَوْقُوفَاتِ ، وَالْأَسْرَارِ الْمَوْدَعَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ ، وَالنِّكَتِ الْبَدِيعَاتِ ،  
 وَإِضْحَاحِ كَثِيرٍ مِنَ الْمَشْكَلَاتِ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى أَصُولِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، إِذَا  
 نَظَرَ فِيهِ النَّاطِرُ زَادَهُ إِيمَانًا ، وَجَلَى عَلَيْهِ الْجَنَّةُ حَتَّى كَأَنَّهُ يَشَاهِدُهَا عَيَانًا ، فَهُوَ مِثْرُ  
 سَاكِنِ الْعَزَمَاتِ إِلَى رُوضَاتِ الْجَنَاتِ ، وَبَاعَثَ الْهَمَمَ الْعَلِيَّاتِ ، إِلَى الْعَيْشِ  
 الْهَنِيِّ فِي تِلْكَ الْعُرْفَاتِ .

وسميته « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » فإنه اسم يطابق مسماه ، ولفظ

(١) الْقُدُوسُ : مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِي . وَمَعْنَاهُ الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ .

(٢) الْقَلَائِدُ : جَمْعُ قَلَادَةٍ ، وَهِيَ مَا يَجْعَلُ حَوْلَ الْعُنُقِ مِنْ حَلِيِّ وَنَحْوِهِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ ( الْآيَاتِ ) وَهُوَ خَطَأٌ ، وَمَا أَثْبَتَاهُ هُوَ الصَّحِيحُ .

يوافق معناه ، والله يعلم ما قصدت ، وما بجمعه أردت ؛ فهو عند لسان كل عبدٍ وقلبه ، وهو المطلع على نيته ، وكسبه ، وكان جلّ المقصود منه بشارة أهل السنة ، بما أعدّ الله لهم في الجنة، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة ، وهم أولياء الرسول ، وحزبه ، ومن خرّج عن سنّته فهم أعداؤه وحربه . لا تأخذهم في نصرته سنته ملامة اللوام ، ولا يتركون ما صحّ عنه لقول أحد من الأنام ، والسنة أجلّ في صدورهم من أن يُقدّموا عليها رأياً فقهياً ، أو بحثاً جدلياً ، أو خيالاً صوفياً ، أو تناقضاً كلامياً ، أو قياساً فلسفياً ، أو حكماً سياسياً ، فمن قدم عليها شيئاً من ذلك ، فبابُ الصوابِ عليه مسدود ، وهو عن طريق الرشاد مصدود .

فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرّمه، ولك صفوه ، وعليه كدره . وهذه بضاعته المُرْجَاة<sup>(٢)</sup> تعرّض عليك ، وبنات أفكاره تُزْفُ إليك ، فإن صادفتَ كفوّاً كريماً فلن تعدم منه إمساكاً بمعروفٍ أو تسريحاً بإحسانٍ . وإن كان غيره فالله المستعان ، فما كان من صواب فمن الواحد المنان ، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان . والله بريء منه ورسوله .

وقد قسّمتُ الكتابَ سبعينَ باباً .

والله سبحانه هو المسؤول أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، مدنياً لمؤلفه وقارئة وكتابه من جنات النعيم ، وأن يجعله حجة له ولا يجعله حجة عليه ، وأن ينفع به من انتهى إليه ، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول ، وهو حسينا ونعم الوكيل .

(١) المُرْجَى : الشيء القليل ، وبضاعة مُرْجَاة : قليلة مردودة ترفض رغبة عنها .